طبيعة الحرية عند سارتر

م.د. حنان علي عواضة
جامعة بغداد/ كلية الآداب – قسم الفلسفة
hanan. awada@yahoo.com

الملخص

يؤكد سارتر في فلسفته الحرية المطلقة، أساس أنَّ الإنسان حرٌّ حرية مطلقة بعيداً عن كلّ الدوافع والأسباب. والحرية تكشف عن نفسها من خلال القلق. والحرية تظهر من خلال الديالكتيك – فهناك حرية كلما كان هناك جبر وقهر .

المقدمة:

تعدُّ فكرة الحرية عند " سارتر " (١٩٠٥– ١٩٨٠) ، مسألة مركزية في فلسفته كلها . فقد رأى أن الإنسان هو الحرية ، بل إنّ ماهية الإنسان هي الحرية ، وهي شرط لوجوده ، بل الإنسان محكوم عليه بالحرية .

وفي هذا المجال سيتضح أنّ الإنسان هو الذي يختار بحرية لأن حريته مطلقة حتى ولو كان سجيناً ، فقد وجد الإنسان في هذا العالم ، ووجد نفسه مسؤولاً عن اختار . فالإنسان يختار ذاته دائماً وباستمرار ، وهكذا الحرية عند سارتر مرتبطة بوجود الإنسان ، أي باختياره وما يتبعها من القلق والمسؤولية ، وهذا ما سوف نوضحه في بحثنا هذا .

الحرية والوجود :

الحرية عند " سارتر " هي أعظم ما قدمه في جهوده ، والجانب الآخر المضاد للحرية هو الكرب anguish (ألم– حزن). والكرب متجذر في الوجود الإنساني ، والكرب لا يشمل وجود الفرد نفسه ، بل كلّ البشر. (١)

الوجودية في كلّ صورها فلسفة أزمات crisis – ولاسيما أزمة الحرية – وهي تعّبر عن أزمة الإنسان بصراحة وبصورة مباشرة ، في حين أن المدارس الأخرى ، مثل : الوضعية المنطقية Logical Positivists تعبر بطريقة غير مباشرة عن العلوم .(٢)

إنَّ الحرية والوجود الإنساني عند " سارتر " هما شيءً واحد ، فالحرية ليست شيئاً مضافاً إلى وجوده ، أو خاصية من خصائص طبيعته ، بل الحرية هي نسيج وجوده ، بل هي عين الوجود ، إذا وجد الإنسان فهو بالطبع حر ، فالحرية عنده قدر لا سبيل للهروب منه ، بل حكم على الإنسان أن يكون حرا . (٣)

والحرية قدراً إجبارياً لا يمكن للإنسان رفضه ، وإلا فقد تخلى عن وجوده – فسارتر يربط بين الحرية والوجود ، الربط الدائم بين فكرتي الحرية والوجود ، وهذا لا يعني أنّ " سارتر " يؤمن بالحتمية في الحرية .

والحرية تصير فعلاً واقعاً ونستطيع إدراكها ، وإذا أردنا البحث عن دوافع هذا الفعل نحو الحرية ، يقضي منا القيام بعمل جديد ، وهكذا .(٤)

إن الحرية ليست بسيطة فالإنسان محكوم عليه أن يكون حراً ، وهذا ما عبر عنه " سارتر " في إحدى شخصيات مسرحياته . ولكن ما معنى أن يكون الإنسان حراَ ؟

يرى " سارتر " أننا أحرار بقدر متساوٍ فالسجين حر كالشخص الحر لا فرق في حريتهما . عنده لا توجد درجات مختلفة للحرية ، فالحرية دائماً كاملة دون نقصان . ويرى أنَّ حريتنا تظلّ سليمة من غير أن تمس حتى عندما نكون عبيداً ، وحتى تحت الاحتلال.(٥)

والحرية عند " سارتر " مرتبطة بالإنسان الفرد ، فالإنسان يظلُّ فرداً حراً حتى وهو في أشد المواقف قهراً وجبراً ، ويرى أنَّ مقابض الجلاد لا تعفينا من أن نكون أحراراً . فالحرية ليست فقط حرية داخلية ، فالعبد حر في أن يختار كسر قيوده ، وهو إما أن يظلَّ عبداً وإما أن يغامر من أجل أن يحرر نفسه من هذه العبودية .(٦)

وهنا يؤكد سارتر الحرية ، وهو يفسر العبودية والسجن ضمن فكرة الحرية ، أي إنَّ الإنسان يملك حريته ، ومعناه أنَّه يملك وجوده – ويبدو أنَّ عشق سارتر للحرية جعله ينطق بالحرية في كلِّ الأحوال، أي إنَّ الإنسان الفرد حرٌ مهما كان .

النقطة الهامة للفكرة السارترية Sartrian هي لا نهائية الحرية أي (لا محدوديتها) ، والحرية لا ترخيص لها من أي أحد . ووجودية " سارتر " لا تنشأ من نظام مرتب لكي تمارس كرغبة وبفرصة مناسبة . نحن أحرار ، لكن لسنا أحراراً بأيٍّ طريقة ودون اعتبار للنتائج .(٧)

إلاّ أنّ للحرية مخاطرها ، وعلى الرغم من ذلك يصر " سارتر " على ضرورة المحافظة عليها وتنميتها ، فليس ثمة كرامة إنسانية دون حرية ، ولكن الحرية لا تعني الفوضى أو القيود ، بل هي ترتبط بالالتزام والمسؤولية .

الإنسان حر حرية مطلقة :

يرى " سارتر " أنَّ الإنسان حرٌّ حرية مطلقة وبصفة دائمة ، وهو يختلف عن النظام السائد في الفلسفة . ويرى أن الأفعال الإرادية هي أفعال حرة ، في حين الأفعال الصادرة عن الأهواء أو الانفعالات أو الرغبات ليست حرة . ففكرة الحرية في الأهواء عند " سارتر " هي أكثر الأفكار أصالة في فلسفته ، وفي الوقت نفسه غريبة عن الأفكار الفلسفية .(٨)

الحرية المطلقة عند " سارتر " لا تحدها دوافع ولا حوافز أو أهواء أو إرادة ، والإنسان موجود حر يمتلك حرية مطلقة بمحض إرادته واختياره ، إنَّ العقل السليم يذكرنا دائماً بضعفنا ، وهو يحد دائماً من حريتنا ، ممّا يجعلنا لا نستطيع تغيير أنفسنا . ويعطي لنا مثلاً عن الحرية فيقول : إنني لست حراً في الهروب من اختيار طبقتي ووطني وأسرتي ، ولا في بناء حياة ما ، أياً كانت هذه الحياة هو تاريخ فاشل . إنَّ تحدي الحياة ومعاكستها تحتاج مني صبر للحصول على أتفه النتائج . في المقابل علينا " إطاعة الطبيعة لكي نأمرها " فالإنسان لا يصنع نفسه – حسب سارتر – بل الطبيعة ، والطبقة ، والأرض ، واللغة ، والتاريخ .... هو الذي يصنعنا .(٩)

صحيح عند " سارتر أنَّ الحرية – في المجال العام – ويقصد به أنه ليس حراً في اختيار أسرته أو وطنيته أو طبقته ، إلّا أنه في المجال الفردّي حر حرية مطلقة ، ويقصد بذلك أن الإنسان يظل حراً في اختياره لما يريد كفرد ، ولكن الإنسان لا يصنع نفسه في الوقت نفسه ، ونستطيع أنَّ نصف هذا التصور للحرية بأنَّه نوع من الديالكتيك أو التناقض في التفسير الفلسفي للحرية ، على أنَّ الإنسان كإنسان ، مقيدة حريته بالطبقة والأرض واللغة من جهة ، فهو حر حرية مطلقة من جهة أخرى .

و " سارتر " يفهم هذه الحرية على أساس أنها حرية فردية ، ويفهم قرار تغيير الوضع على أنه مشروع فردي ، وينظر إلى فعل التغير على أنَّه مخاطرة فردية . (١٠)

هناك قضية غاية في الأهمية حول فكرة الحرية المطلقة عند سارتر. إنه يؤكد الحرية المطلقة في كلِّ الأحوال ؛ لأنه وبموجب فلسفته أن الحرية فردية بطبيعتها ، في حين أن الإنسان محكوم عليه اجتماعيا في وجوده ضمن مؤسسات اجتماعية مثلما أنّه يعيش ضمن بيئة تفرض نفسها عليه .

فالحرية المطلقة عنده مجالها شاملاً إذ يكون كل عمل وكل حادث نفسي وكل فعل عند الإنسان حراً حرية مطلقة .

وعلى أية حال ، فإن " سارتر " وفلاسفة الوجود هم فلاسفة حرية ، وأنهم يحاولون أن يحققوا الحرية للإنسان بعيداً عن أية سيطرة خارجية ، سواء أكانت من المجتمع أم من الدولة أم من أية قوة دكتاتورية .(١١)

و " سارتر " يرى أنَّ الحرية مطلقة على الرغم من وجود الجبر ، فالعامل مثلاً يعيش في حالة عبودية واستغلال ، ولكنه اختار عمله بحرية ، وهذه الحرية عند " سارتر " فردية ، فالحرية المطلقة عنده مجالها شاملاً ، وكلُّ فعل عند الإنسان حر حرية مطلقة . ويبدو أن الرغبة في القول بالحرية المطلقة فكرة جامحة في فلسفة سارتر لدرجة انه ربطها بالوجود – كما اشرنا – وقد تكون هناك أسباب نفسية ، فضلا عن الآراء الفكرية ، هي الدافع الأساس للقول بالمطلقية للحرية.

الحرية والقهر والجبر :

يرى " سارتر " أنَّ الحرية لا تظهر إلّا من مواقف الجبر والقهر ، ففي مسرحية "جمهورية الصمت" عبّر عن رأيه تجاه الاحتلال الألماني لفرنسا فقال : لم نكن في يوم ما أكثر حرية مما كنا خلال مدة الاحتلال ، في تلك المدة فقدنا أبسط حقوقنا ، مثل : حق الكلام ، وكنا نتلقى الاهانات كلّ يوم بصمت ، هذه الاهانات كنا نتلقاها عن طريق الجرائد وشاشة التلفاز، وكانت تواجهنا صورتنا الباهتة ، إذ كنا نتلقاها بكلِّ صمت ، ومع هذا كله كنا أحراراً ، فكلُّ فكرة آنذاك تُعدُّ انتصاراً . فالبوليس الألماني المحتل حاول تكميم أفواهنا بالقوة ، فكلُّ حركة منا كانت لها خطورة الالتزام الوقور . إنَّ حرية الإنسان تكمن ليس في " عقدة أوديب " أو عقدة نقصه ، بل في مدى القدرة على مقاومة التعذيب والموت . في جمهورية الصمت للنازية الألمانية حقق كل فرد حريته ، هذه الحرية الخالية من المنظمات والجيوش كانت بمنزلة مكسب لكلِّ فرد فرنسيّ، يثبت دعائمه الروحية في كلِّ لحظةٍ .

إنّ مواقف الجبر والقهر هذه التي مّر بها الشعب الفرنسيّ هي شرط من شروط الحرية ، وإنَّ الوضع الذي يقاوم حريتنا لا يمكن أن يكون حجة ضد حريتنا ، فالحرية تظهر من خلاله .

وطبعاً " سارتر " وغيره من الوجوديين يدركون ما يعترض طريق الحرية من عقبات، إلّا أنهم يجعلون من مواقف الجبر مواقف للحرية .(١٢)

وهذا يبيّن لنا الصراع الديالكتيكيّ بين الحرية والجبرية عند " سارتر " ، فهو يتكلم عن الحرية المطلقة للإنسان ، ولكنه يعترف من جهة أخرى بأنه ليس حراً في اختياره لأسرته وطبقته، وغير ذلك .

مواقف الجبر والقهر تظهر معنا ، مع وجودنا الخارجيّ الحقيقيّ ، بل هي جزء من "المشروع الحر" لكلِّ فرد . ويرى " سارتر " أنَّ الوضع الذي يقاوم ويكبت حريتنا ، لا يمكن أن نتخذه حجة تقف عقبة ضد حريتنا ، فالصخرة القوية التي تقاومني بشدة عندما أريد أن أنقلها أو أحركها ، ستكون خير معين لي إذا أردت أن أتسلقها عندما أريد أن أتأمل منظراً جميلاً . (١٣)

يرى " سارتر " أنَّ أسواط الجلاد لا تعفينا من أن نكون أحراراً ، فالعبد حر حرية كاملة، فهو حر في أن يكسر قيوده ؛ لأنَّ معنى القيود لا ينكشف إلّا في ضوء الهدف الذي يختاره . فأمامه طريقان إما أن يظلَّ العبد عبداً وأما عليه أن يسعى ليفك عبوديته وأن يجازف من أجل أن يحرر نفسه ، إذن فالحرية لا تظهر عند " سارتر " إلا من خلال مواقف الجبر والقهر.(١٤)

إنَّ فكرة الحرية هنا تظهر بصورة واضحة من خلال الديالكتيك – كما اشرنا – فهناك حرية كلما كان هناك جبر وقهر – لذلك هناك صراع بين قطبين : الحرية من جهة والجبر من جهة أخرى . هذا مع أنَّ " سارتر " قد اقترب من فكرة الديالكتيك ، وصدر له كتاب في ذلك هو: "نقد العقل الجدلي".

الحرية والمسؤولية :

يربط " سارتر " بين الحرية والالتزام أي (المسؤولية) ، ويرى أن الإنسان عندما يختار نفسه إنما يختار جميع البشر ، فهذا الاختيار يعطي للشيء قيمة مطلقة ، يهيب بالبشرية ككل أن تختار هذا الشيء الذي اختاره هو . لذلك فالإنسان مسؤول عن البشرية بالعمل الذي يفعله ، فالإنسان مسئول عن نفسه وعن جميع البشر .(١٥)

والإنسان عند " سارتر " مسؤول مسؤولية تامة عن شيء واحد ألا وهو غير مسؤول عن مسؤولية نفسه ؛ لأنه ليس سبب وجوده ، بل وجد في هذا العالم رغماً عنه ، ولكنه وجد نفسه فجأة مسؤول عن هذا العالم ، دون اختياره هو .(١٦)

إذن يمكننا القول : إنَّ الصراع بين الحرية والجبرية ، والتأمل للمنظر الجميل (الحرية) ، ما هو الصراع بين الاثنين والتأويل للمنظر الجميل (الحرية) .. ما هو إلا صراع بين الاثنين .

يرى " سارتر " أنَّ لا حرية دون مسؤولية ولا مسؤولية دون حرية ، فمثلاً هو يعتقد أنَّ كلَّ إنسان عاصر الحرب العالمية ، فهو مسؤول عنها ؛ لأنه عايشها.(١٧)

والإنسان بمسؤوليته هذه يتحمل مسؤولية الجميع ، فهو لا يقوم إلا بخلق صورة للإنسان الذي اختاره ، فإذا اختار نفسه فإنما هو يختار الإنسان .(١٨) يقول " سارتر " : " فإذا كان الوجود يسبق حقيقة الجوهر فالإنسان إذن مسؤول عما هو كائن . فأول ما تسعى إليه الوجودية هي أن تضع الإنسان بوجه حقيقته ، وأن تحمله من ثمَّ المسؤولية الكاملة لوجوده . وعندما نقول إنَّ الإنسان مسؤول عن نفسه لا نعني أنَّ الإنسان مسؤول عن وجوده الفرديّ فحسب ، بل هو بالحقيقة مسؤول عن جميع الناس وكل البشر".(١٩)

إنّ الإنسان عندما يختار أحسن الأشياء لنفسه ، وعندما يطلب الحرية أيضاً ، فإنّ هذا لا يتوقف على نفسه بل على الآخرين جميعاً .

إنَّ مسؤولية الإنسان مسؤولية كبيرة ، فمثلاً إذا كنت سأقوم بعمل ما كالزواج ، وبعدها أرزق أطفالاً ، فإني بهذا العمل لا ألزم نفسي وحدها على اختيار زوجة لي ، بل ألزم الإنسانية جمعاء ، حتى لو كان زواجي متعلقاً بوضعيتي أو رغبتي . ومعنى هذا أن الإنسان بمسؤوليته يحمل على كاهله عبء العالم كله . فهو مسؤول عن وجوده وعن العالم وكيفية وجودهما ، فهو لا يستطيع أن يمنع نفسه من حمل هذه المسؤولية ، وما يترتب عليها من مخالفات تلقي على عاتقه من أحداث هذا العالم .(٢٠)

وفي هذا المجال فإنَّ سارتر يحمل الإنسان الفرد مسؤولية نفسه والجميع في اختياره وإرادته ، بل في حريته أساسا ، لهذا فهو يحّمله المسؤولية الكاملة وعلى الرغم من العقبات المؤلمة التي تعترضه في الحياة القاسية اللامعقولة .

" هذا الاختيار نفسه يضع المرء في حالة التزام كاملة مع كل ما يحيط به ، ومن ثم يصبح مسؤولاً مسؤولية تتسع زماناً ومكاناً حتى تشمل البشرية كلها ، ماضياً وحاضراً ومستقبلاً . ولهذا كانت الحياة لدى سارتر ورغم العدم الذي يحتضنها ، ورغم العبث الذي يعلنها فرصة رائعة لقرار الإنسان المطلق الذي يتحقق بموجبه اختياره لنفسه " .(٢١)

وعلى الرغم من إقرار سارتر بالحرية المطلقة والمسؤولية الكاملة للإنسان الفرد إلا انه يرى أنَّه باختياره وتحمله للمسؤولية يتأثر بعوامل أقوى منه (عوامل خارجية) وبهذا فان هذا الإنسان يهرب ويبتعد عن تحمل المسؤولية ، بل يبتعد عند تمسكه بالحرية التي تمثل وجوده الحقيقي . " وسارتر " يؤكد أنَّ الإنسان قلق ومسؤول ، ولكنه يختار لنفسه وللبشرية جمعاء، وبهذا الموقف لا يستطيع الإنسان أن يهرب من مسؤوليته .(٢٢)

فالإنسان يصبح مسؤولا عن اختياره . ولكن إذا أحس بأن اختياره هو نتيجة لعوامل أخرى خارجية مثل القدر والحتمية ، واعتبرهما هما اللذان يسيطرا عليه ، فهنا يكون قد هرب من حريته وخشي تحمل مسؤوليته ، وحمل الآخرين تبعة أخطائه . (٢٣)

إنَّ المسؤولية تقع على عاتق الإنسان بمفرده ، وقد نخدع أنفسنا بأننا نستطيع تجنب المسؤولية التامة وذلك بمحاولة إلقاء عبء الاختيار على شخص آخر ، إذ إننا قد ننضم إلى حزب معين أو حركة سياسية ، تتطلب الطاعة التامة لأوامرها ، ولكن هذا لا يعفينا من المسؤولية . فنحن قد اخترنا الحزب أو الزعيم الذي نرغب في إتباعه ، وهو اختيار مستمر . ولكن يمكننا أن نترك الحزب ونختار حزب آخر جديد . (٢٤) إذن المسؤولية تقع على عاتق الإنسان وحده ، ولا مهرب من المسؤولية الفردية الكاملة .

الحرية والاختيار :

الإنسان عند " سارتر " لا يخضع للدوافع والحوافز ، بل هو يختارها ؛ لأنّه يسلك طريقه بمقتضاها ، وهذا يدلُّ على أنَّ الإنسان يختار نفسه بناءً على اختياره . فهو يعتمد تماماً على حريته ، فهو لا يعتمد على شيء آخر ، إنَّه متروك دون أية مساعدة من أحد . أن نبحث بعد ذلك عن لحظات أو خطوات نفسية يكون فيها الإنسان حراً ، كما أنه أيضاً من العبث أن نبحث عن فراغ في كوب سبق وأن ملأناه إلى حافته . فالإنسان لا يمكن أن يكون تارة حراً وتارة أخرى مقيداً، بل هو دائماً حر حرية مطلقة .(٢٥)

إنَّ الحرية تعني التصميم ، فليست الحرية إلّا بإزاء مواقف معينة ، فهي تتجلى في اختيار الوعي ، وهذا ما يسميه " سارتر " " بالشروع " ، فهو لا يعني تحقيق الغاية والحصول عليها ، بل هي مجرد استقلال الاختيار .فالسجين مثلاً ليس حراً في أن يغادر سجنه أو في أن يحلم بإطلاق سراحه ، بل هو حر في محاولته الهروب ، أو في أن يحاول أن يطلق سراحه والفارق بين الاثنين هو الفارق بين حرية الاختيار وبين حرية الحصول عليها. (٢٦)

" وفضلاً عن ذلك ، الحرية هي حرية الاختيار ، لكنها ليست حرية عدم الاختيار . حين لا أختار ، فإنني في الواقع ، أختار ألا أختار . وينتج عن ، أن الاختيار هو أساس للكائن المختار ، وليس أساس لفعل الاختيار . من هنا عبثية الحرية " .(٢٧)

ومثلما الإنسان محكوم عليه بالحرية يتبع ذلك أنه محكوم عليه بالاختيار ؛ لأنَّ وجوده في هذا العالم نابع من الحرية ، أي عندما يوجد الإنسان يجد نفسه وحيداً مسؤولا عن نفسه أو وجوده، فتصبح لديه القدرة على الاختيار .

والإنسان محكوم عليه أن يختار ، فقد خرج إلى هذا العالم ووجد نفسه مسؤولا ومرغماً بالاختيار ، وتكوين نفسه . وبهذا يكون الإنسان وحيداً لا معنى له .(٢٨)

يرى " سارتر " أنَّ الإنسان يختار ذاته باستمرار ، إذ إنه لا يكف عن هذا الاختيار ؛ لأنَّه إذا فعل ذلك فإنه يتخلى عن الوجود أيضاً . وبهذا فالإنسان عند " سارتر " إذا كف عن الاختيار فإن وجوده يتغير أو ينقلب من وجود " ما هو لذاته " إلى " وجود " ما هو في ذاته " ، بمعنى أنَّ وجود الإنسان ينتقل إلى وجود الأشياء . (٢٩)

إنَّ كل عمل يقوم به الإنسان يحصل على ما يريد ومن ثمَّ فهو يخلق نفسه بالطريقة التي يريدها . فإذا اختار الإنسان أن يكون شيئاً ما ، فهنا يؤكد قيمة اختيار الذي اختاره ، فهو لا يستطيع أن يختار الشر ، فهو لا يختار إلّا الخير ، ويكون ذلك خيراً له وخيراً للجميع .(٣٠)

" الإنسان محكوم عليه بالحرية ... ، وقد " ألقي " بنا في الحرية . وكما نرى ومهما هاجرنا الحرية ، فليس لهذا الهجران منشأ آخر سوى وجود الحرية بالذات . إذا عرفنا الحرية بأنها إفلات من المعطى ، من الواقعة ، أنها واقعية الحرية " . (٣١)

فالحياة ، تكون كما يختارها الإنسان الفرد . فالجبان مثلاً ، هو الذي يعمل من نفسه إنساناً جباناً ، والبطل هو الذي يصنع من نفسه بطلاً ، فالأول يمكنه أن يتوقف عن أن يكون جباناً ، والثاني يستطيع أن يتوقف أن يكون بطلاً .(٣٢)

فلا معنى للحرية إلا عندما يختار الإنسان بين الأشياء ، ولكن هناك قضايا كثيرة تحد من حرية الإنسان ، مثل : الحرمان الاقتصاديّ ، وأنظمة المجتمع المتسلطة . (٣٣)

وهنا في مجال حرية الاختيار فان " سارتر " يعترف بالخضوع للظروف الاجتماعية التي تتعلق بالطبقة التي ينتمي إليها ، فليس للإنسان في ذلك القدرة على الاختيار . أما الظروف الطبيعية ، فإنَّ الإنسان كذلك لا يستطيع أن يختار شكل جسمه ولا صفاته العقلية .

فنحن – حسب سارتر – لا يمكننا أن نختار الطبقة الاجتماعية التي ولدنا فيها ، ولا أن نختار تكوين جسمنا وعقلنا ، ولكن يمكننا أن نختار " الموقف " تُجاه الطبقة التي نحن فيها ، وتُجاه جسمنا ، فهذا أمر راجع إلينا .(٣٤)

يقول " سارتر " في الكينونة والعدم : إنَّ البرهان الحاسم الذي يستعمله الحس السليم ضد الحرية ، يقوم على تذكيرنا بأننا عاجزون بغض النظر بأننا قادرون على تغيير " الموقف " – على تغيير أنفسنا ، فلا يمكنني أن أغير طبقتي وأمتي وعائلتي الذين أنتمي إليهم ، وليس لي الحرية في إنشاء سلطتي وثروتي ، ولا يمكنني التغلب على شهواتي ، فمهما كان تاريخ حياة الإنسان ، فهو تاريخ الفشل .(٣٥)

ويقول : " إنني اختار نفسي باستمرار ، ولا يمكنني إطلاقاً أن أظل موجوداً مثلما كنت قد اخترت نفسي سابقاً ، وإلا سيتحول وجودي إلى مجرد وجود في – ذاته ". (٣٦)

فعند سارتر هنا عدة خواص يمتاز بها الإنسان من غيره من الموجودات ، وهي : طابعه الهلاميّ المتعالي ، والإنسان مشروع ، والارتباط بالذات ، والوجود الحر ، وهي أهم خواص يتميز بها الإنسان ، لأن الفعل والاختيار يتضمنان الحرية . ولـ " سارتر " قولين مشهورين هما : ١– " لست السيد ولست العبد ، وإنما أنا الحرية " . ٢– " الإنسان محكوم عليه بالحرية " .

ومعنى هذا أنه ليس في الإمكان أن نجد للحرية حدوداً أخرى غير وجودها ذاته . نحن لسنا أحراراً في أن نتخلى عن حريتنا .(٣٧)

وبهذا ، فالحرية عند " سارتر " مرادفة للاختيار ، وعنده لا يختار الإنسان إلا أن يكون حراً ، لأنَّ الإنسان – كما أشرنا – محكوم عليه بالحرية – حسب رأيه .

الحرية بين القلق والوعي :

في رأي " سارتر " أنّ الوجود البشري – بوصفه حرية – إنما يتعرف على ذاته من خلال " القلق " Anxiety . فالإنسان في صميمه قلق ، لذلك فقد تصور الحرية الإنسانية على أنها نشاط مستمر ، يقوى في كل حين على تغيير موضوعات رغبته ، وكأن في استطاعة الحرية أن تنتصر على جميع المعوقات التي تعترضها . (٣٨)

فالحرية إذن تكشف عن نفسها من خلال القلق ، والقلق هو **وعي** الإنسان من خلال خلقه لوجوده إذ إنه عدم ، والإنسان يخلق وجوده بنفسه من الحرية ، ويسميه " سارتر " هروباً وهو بهروبه هذا من القلق يحاول أن يفلت من حريته ومن ماضيه ، ويتجه نحو المستقبل .

ولكن على الرغم من ذلك فإنه من المستحيل على الإنسان الهرب من القلق ، من هنا حكم على الإنسان – أي الوجود لذاته – حكم عليه بالإحباط والقلق الدائم .(٣٩)

لذلك فالحرية معناها أنَّ الإنسان هو الذي يصنع نفسه (وجوده) ؛ لأنَّ الإنسان أمامه إمكانيات لا متناهية ، فهو في قلق مستمر.

فالقلق هو **وعي** الإنسان لوجوده المحض " والوجود بهذا المعنى يصبح مزية خاصة بالإنسان وحده ، بل مزية مقصورة على الإنسان ؛ فليس هناك معنى لأن نقول ينبغي على الإنسان أن يكون حراً ، إذ لا يمكنه إلا أن يكون كذلك ، إنه يمارس حريته في كلِّ فعل وفي كل سلوك ، – " إنني مدان بأن أكون حراً " " . (٤٠)

ربط سارتر بين القلق والحرية ؛ لأنَّ القلق يؤدي إلى أن نعي الحرية ، أي إنَّ القلق هو أساس هذا الشعور بالحرية .

فالإنسان الذي يدرك الحرية ويعيشها لا بد من أن يصاب بالقلق . فالقلق هو شعور يرافقنا بوعينا للحرية أو أن القلق هو كيفية وجود الحرية كواعية بوجودها .(٤١)

والقلق هو الشعور بالحرية ويختلف عن الخوف ؛ فالخوف شيء حادث من الأشياء . وإذا كان الخوف عابرا في حياة الكائن الفرد ؛ فإن القلق ثابت وأصيل في الإنسان .

لذلك يعّرف " سارتر " القلق بأنه هو الشعور بالحرية نفسها . والقلق يختلف عن الخوف – كما ذكرنا – لأن الخوف هو الخوف من الكائنات في هذا العالم ، إنما القلق هو قلق الإنسان إزاء نفسه (الأنا) .(٤٢) القلق دفين في نفس الإنسان ، أما الخوف ؛ فهو عابر يحدث من شيء ومن اعتداء الآخرين .

من خلال الاختيار الحر ، مع ما يصاحب ذلك من قلق ، وتحمل مسؤولية ذلك الاختيار ، يشعر الإنسان بالخوف والقلق . فالإنسان – حسب سارتر – يوجد بينه وبين ذاته " مسافة " لا يصل إليها أبداً حتى عندما يصل إلى الموت الذي هو قضاء على كلِّ الإمكانات التي لديه . وهذه المسافة هي التي يسميها " سارتر " "بالعدم " .(٤٣)

وأيضاً ربط " سارتر مفهوم الحرية بمفهوم العدم ، فالإنسان بطبيعته ذلك المخلوق الوحيد الذي يستطيع أن يقتحم " العدم " إنَّ حريته هي مظهر لوجوده الناقص ، الذي يتخلله " العدم " من جميع جوانبه . فحرية " سارتر " كلها ارتبطت " بالعدم " ، والعدم هو الذي يفصل الإنسان عن ماهيته . وإنَّ الشعور بالحرية يولد لدينا إحساساً أليماً بالضيق أو الخوف ، وذلك وفقاً لماهيتنا ، وكان لدينا (مثلنا في ذلك كمثل الأشياء) ، وإنَّ ماهيتنا سابقة على وجودنا وهذا ما يرفضه "سارتر " .(٤٤)

أدخل " سارتر " تعديلاً على البناء الوجودي ، إذ استبدل مفهوم " القلق " بمفهوم " الحاجة " إذ يقول : إنَّ الوعي البشريّ – بوصفه حرية – يتعرف على ذاته من خلال " القلق " وإنَّ هذا ليس بغريب على " سارتر " الذي ذكر في كتابه " الوجود والعدم " أنَّ الإنسان في صميمه قلق .(٤٥) لذلك فقد تصور الحرية البشرية على أنَّها نشاط مستمر ، يقوى دائماً على تغيير موضوعات رغبته .

وفي" الكينونة والعدم" يذكر سارتر بوضوح أن يظهر الحرية ، والقلق جزء أساسي ودائم في تركيب النفس الإنسانية (العاطفية) . يقول سارتر :

" في حالة القلق ، يعني الإنسان بحريته ، أو إذا شئنا ، القلق هو أسلوب وجود الحرية من حيث هي وعي بوجودها ، وفي حالة القلق ، تكون الحرية في كينونتها موضع تساؤل بالنسبة إلى ذاتها " . (٤٦)

ولكن السؤال الهام المطروح : ما هي علة هذا القلق ؟ إنَّ الوعي ينفصل عن ذاته وعن ماضيه أيضاً ، وذلك بسبب توجيهه دائماً نحو المستقبل . وهذا الانفصال بين الذات وماضيه يعني أنَّ الوعي ليس حاصلاً على ماهية يهتدي إليها في سلوكه وأفعاله بما تقتضي به ، وما تحتمه ، لذلك كان الوعي حراً ، وكان محروماً في هذه الحرية من أن يهتدي بأيِّ هادي .(٤٧) " في حالة القلق ، تقلق الحرية تجاه نفسها من حيث إنَّ لا شيء يلح عليها أو يعرقلها . يبقى أنه سيقال قد حددت منذ قليل بأنها بنية دائمة للكائن الإنسانيّ . إذا كان القلق يظهر الحرية ، فلا بد من أن يكون حالة دائمة في تركيبتي العاطفية ، إلّا أنَّه يختلف عن ذلك ، حالة استثنائية بالتمام . كيف نفسر الحالة النادرة لظاهرة القلق .(٤٨)

إنَّ القلق الشديد الذي تبعثه الحرية في النفوس ، لا يمكن الهروب منه ، " فالقلق الأخلاقيّ " لا بُدَّ للإنسان أن يعيشه ويتعايش معه ، وهذا القلق ليس هو الهم الذي يشعر به الإنسان ، بل هو شيء أعمق وأبعث على الخوف ، لأنَّ عند اختياره يحمل داخله المسؤولية الشخصية الكاملة ، لذا يصبح كل اختيار يختاره الإنسان جزءاً من تاريخه و " ماهيّته " بصورة دائمة .(٤٩)

والحرية التي مبعثها القلق ، هي باعثة على الهم كذلك ، بل هي مسؤولية كبرى على الإنسان ، عليه أن يختار ويتحمل هذه المسؤولية ليحقق ماهيته بواسطتها – ولا ننسى أن " سارتر " يؤكد كما فعل الفلاسفة الوجوديين الآخرين أنّ الإنسان هو الذي يخلق ماهيته – فالوجود اسبق من الماهية ، والحرية جزء من الماهية التي تشكل شخصية الإنسان الفرد .

يعتقد " سارتر " أنَّ الغثيان (الشعور برغبة في القيء) والقلق هما جزءً من تجربة الإنسانية جمعاء ، وأنّ الغثيان هو الشعور الطبيعيّ الذي يظهر لأيِّ فرد يعاني من التشوش الغامض الذي

يكون علم المظهر المحسوس . أما القلق ؛ فهو الشعور الطبيعيّ الذي يحصل نتيجة الانفتاح المطلق والمقلق لمستقبلنا ، وهذا ما يسميه " سارتر " " بالعدم " في مركز ما نعيش فيه .(٥٠)

" ليس الغثيان سوى الشعور بالاختناق الذي يسببه ذلك الكشف للوجود ، كأنه شيء يأخذ من كل جوانبك بغتة ، شيء يتوقف من أجلك ، ويثقل على قلبك " كأنه حيوان ضخم لا يتحرك " " .(٥١)

إنَّ الإنسان يلجأ إلى الهروب من القلق الذي يفرض عليه الضرورة الدائمة ، للحاق وراء ذاته ، هروب نحو المستقبل ، وهذا الهروب يسميه " سوء الطوية " ، وهو شبيه بفكرة " السقوط " .(٥٢)

إن بعض الناس يحتجون على كلام " سارتر " فهم لا يشعرون بهذا الغثيان ، أو بمثل هذا القلق ، فيرد عليهم " سارتر " أنَّ الناس يهربون من قلقهم وغثيانهم ، أنهم يخدعون أنفسهم ، لقد مارسوا " **سوء الطوية** " ولكن ما المقصود بسوء الطوية ؟ (تعني سوء النية في دواخل الشخص والتي غالباً لا يظهرها الفرد بصورة مباشرة لكي لا يخسر الشخص المقابل سواء أكان صديقاً أو شخصاً آخر يتعامل معه) . ويضرب لنا " سارتر" المثل بامرأة شابة تذهب إلى مطعم لأول مرة مع حبيبها الذي يصطحبها معه ماسكاً بيدها ، فالمرأة تتظاهر أنها لم تنتبه على ذلك ، فتبقي يدها بكل بساطة في يده ، أما عقلها ؛ فليس معه فهي تنشغل بأمور أخرى التي يتحدث عنها حبيبها . وأيضاً يعطي " سارتر " لنا مثلاً عن شخص يعمل في المقهى يسمى " النادل " وهو يؤدي دوره أيضاً فنرى حركته سريعة وإلى الأمام ، وهو يتجه نحو الحضور في المقهى ، ينحني بأدب ، وإنَّ صوته ، وحركاته يعبران عن احترامه للزبون ، إذ تبدو لنا سلوكه وكأنها لعبة يلعب دور كونه نادلاً في مقهى .(٥٣)

هنا سوء الطوية الفرد يتظاهر بأنه مرتاح في عمله ومرتاح مع حبيبه إلا أنه في داخله يشعر بالقلق والغثيان .

" إنَّ كلاً من المرأة والنادل إنما (يتظاهران) لنفسيهما أنهما يقومان بدور ذاتيين ، لهما طبيعتان محددتان ثابتتان ، إنهما يهربان من واقع للشيء لذاته المثول الحر الذي لا يمكن التنبؤ به إلى التظاهر المزيف للشيء . إنَّ " سارتر " يعتقد أنَّ " سوء الطوية " من هذا النوع قد شجع في العالم الحديث من جانب تعاليم فرويد . إنّه يعتقد أنّ " فرويد " يقدم للناس وسائل للهرب من المسؤولية إلى أسطورة ، كوننا مخلوقات تحددها القوة اللاشعورية .(٥٤)

حرية الأنا والآخر :

وضع " سارتر" للوجود الفرديّ أهمية أكبر من الوجود الجماعيّ ، وله عبارة مشهورة تعَبر عن رأيه الخاص بذلك وقد ذكر في إحدى مسرحياته " لا مفر " إذ يقول " الجحيم هو الآخرون " ، وهو بذلك يكون متأثر بـ " كيركجورد " فله عبارة مشهورة أيضاً ألا وهي " في سبيل إقامة علاقة مع

الله يحكم على الآخر بأنه عقبة في طريقنا إليه " أي إلى الله . ولكن " سارتر " طبق هذه العبارة ليس على الله ، بل على الآخر فهو لم يطبقها على الله لأنه لا يؤمن أصلاً بوجود إله .

فهو يعدُّ الإنسان الموجود اللامتناهي ، ودائماً الإنسان يسعى إلى الإلوهية ، ولكن الآخرون يحبطون هذه الرغبة . لذلك من الصعب على كلِّ إنسان أن يحقق هذه الرغبة ، أي ان يصبح إلهً . فالآخرون دائماً عقبة تحول دون تحقيق وجودنا البشريّ .(٥٥) والعلاقة بالآخر هي علاقة " حرية " ، بمعنى أنّ الآخر يحد من حريتي – الآخرون هو الجحيم – فالآخر موضوع وذات ، وأنا كذلك موضوع وذات – أن وجود الغير مشكلة بالنسبة لي ، بل إنَّه حمل بغيض ، وهو حرية الآخر ، وعن طريق حريته يستطيع الآخر أن يؤثر في إمكانياتي في الحياة أو الوجود. وعلى هذا فأنا في خطر دائم مادام الغير يتخذني وسيلة لتحقيق إمكانياته مع التنكر لإمكانياتي أنا .

ولكن في المقابل نرى سارتر يقول : " ليس من الممكن لي أن أنفي وجود الآخر في داخلي من حيث أنَّ الآخر هو نفسه ذات فاعلة إذا رفضت الآخر مباشرة من حيث هو موضوع محض ... فإنني لا أرفض الآخر كآخر ، بل كموضوع لا يجمعه مبدئياً أي مشترك مع الذاتية، وأبقى من دون دفاع يحميني من استيعاب الآخر لي بشكل كامل ، بسبب عدم اتخاذي الحيطة والحذر داخل ذاتيتي التي هي الميدان الحقيقي للآخر ، وهي أيضاً ميداني الخاص . لا يمكنني أن أبقى على مسافة مع الآخر إلا حين أقبل بوضع حد يعزل ذاتيتي " (٥٦)

وضع " سارتر " قيدين يعيقان حرية الأنا : واقعة وجودي نفسها ، فوجودي لا يتوقف عليّ ، وأنني لست حراً في أن لا أختار حريتي . ثانياً : واقعة وجود الآخر وحريته ، فحريته تحد من حريتي ، وتحول الأنا إلى مجرد موضوع .(٥٧)

" إن هذه الاندفاعات المنطلقة من ذاتي ، تجعلني على علاقة مباشرة بحرية الآخر . بهذا المعنى ، الحب هو صراع . لقد أشرنا بالفعل إلى أنَّ حرية الآخر تجعلني موجوداً ، فليست لدي أي طمأنينة ، فأنا في وضع خطر بسبب هذه الحرية ، إذ إنها تعيد تشكيل وجودي ، وتجعلني كائناً ، وتمنحني قيماً ، وتنتزعها مني ، وتفرض على وجودي انفلاتاً سلبياً متواصلاً من ذاته ".(٥٨)

يعترف " سارتر " أنَّ حرية الإنسان مطلقة – كما أشرنا – وهي جوهر وأساس التركيب الأنطولوجي العدمي لوجوده ، والإنسان في عمل دءوب يقوم به لتحقيق كينونته . ومن بين هذا العمل هو الاتصال بالآخرين ، فهو يشاركهم الحياة ، على الرغم من كلِّ المخاطر التي تأتي من الآخر . ويسمي " سارتر " هذه المشاركة بين الأنا " عالم ما بين الذوات " والذي يلتقي في الأنا بالآخر على الرغم من الاختلاف في نسيج كلٍّ منهم عن الآخر .(٥٩)

ويحدث ما بين عالم الذوات حركة أشبه بالحركة الديالكتيكية بين الوجود والعدم ، فهذه العلاقة بين الأنا والآخر المستمرة تحول وجود كل منهما إلى عدم . إن نظرة الغير لي تقضي على كياني ووجودي وتشله وتسلبني كينونتي ، فالآخر ما هو إلا الجحيم الذي يعذبني ، وفي المقابل أنا أعد بالنسبة إليه الجحيم الذي أعذبه .(٦٠)

" إنَّ قيمة اعتراف الغير بي تتعلق بقيمة اعترافي بالغير ، بهذا المعنى ، أنا لست واحد من هذا الغير بمقدار ما يدرك الغير أنني مرتبط بجسد ومنغمس في الحياة ، فعليّ أن أخاطر بحياتي الخاصة كي أجعل الغير يعترف بي " .(٦١)

وهناك قضية أخرى طرحها " سارتر " في كتابه " الكينونة والعدم " تجاه الآخرين ، ألا وهي قضية الحرية والمسؤولية ، إذ يرى أنَّ الإنسان مسؤول عن وجوده الضيق المحدود ، بل أنه مسؤول عن الناس جميعاً ، وبهذا نجد " سارتر " يلقي على الإنسان مسؤولية صعبة تلقي أثقالها على كاهله ، وهي تختلف عما نفهمه من معنى للمسؤولية تجاه الأنا وتجاه الآخر .

أما مسؤوليتنا عن الناس جميعاً ، فهي قضية قال بها فلاسفة قبل " سارتر " ومنهم " كانط " (١٧٢٤–١٨٠٤) التي تجعل شمول الإنسانية له طابعه القانونيّ الأخلاقيّ . ليكن فعلك بحيث يعامل الإنسانية سواء في شخصك أو في شخص غيرك ، على أنها مجرد غاية دائماً لا على أنها وسيلة أبداً .

" إنه لأمر غريب أن تكون مشكلة الآخرين لم تشغل حقاً الفلاسفة الواقعيين . بمقدار ما يعدُّ الواقعيّ أنَّ كلَّ شيء يأتيه من الواقع الخارجي ، يبدو له من دون شك ، أنَّ الآخر موجود ضمناً في الواقع . وفي صميم هذا الواقع ، أي شيء هو بالفعل أكثر واقعية من الآخر ، إنه جوهر مفكر لديه الماهية ذاتها التي لديّ ، ولا يمكنه أن يتلاشى عبر تحوله إلى كيفيات ثانوية وكيفيات أولية ، وأجد بناه الأساسية فيّ أنا " .(٦٢)

لذلك فإنَّ ظهور الآخر في حياتي يُعدُّ هو " الموت المتحجب لإمكانياتي " . إنَّ الآخر هو الذي يقتحم عالمي ويجعلني موضوعاً للتقويم ، ويعطيني قيمتي ، ويجعل أنفسنا " عبيداً " بقدر ما نظهر للآخر . ولكن هذه العبودية ليست نتيجة تاريخية قابلة للتجاوز لحياة وعي مجرد .(٦٣)

إنَّ وجود الآخر معناه سلب لحريتي ؛ لأنني لا استطيع أن افعل ما أريد بسبب نظرات الآخر لي ، فالآخر يدخل عالمي – فيحد من إمكانياتي – فالعلاقة بين الأنا والآخر تشكل عقبة كبيرة لي .

إنَّ فكر " سارتر " المتشدد تجاه التواصل بين الأنا والآخر ، أو التواصل الحقيقي بين الذوات ، هي التي كانت عقبة في تقدم فكره التاريخي . وإنَّ وجوديته التي عبر عنها في كتابه " الكينونة والعدم " لا تحتوي على أية اعتراف للبعد التاريخي للموجود الإنساني .(٦٤)

يرى سارتر نفسه متورطا بصراع مع الآخر ، فعندما يتدخل شخص آخر ويرمقني بنظراته – فأصبح أنا الموجود في الخارج كموضوع وسط عالمي ، لكن الشيء نفسه يحدث بالنسبة للآخر من خلال نظراتي إليه . (٦٥)

وكلام سارتر على الآخر ووجود الآخر ينقلنا إلى الكلام عن الجسم – والجسم يولد علاقة بين الأشخاص ، والعلاقة عبارة عن إحباط ذاتي .

إنَّ " سارتر " من بين الفلاسفة الوجوديين الذين حللوا بدقة دور الجسم في العلاقة بين الأشخاص ، إذ يرى أنَّ العلاقة الجسمية بين الأشخاص ما هي إلا عبارة عن إحباط ذاتي ، لكننا سوف نحاول تقديم تفسير إيجابي لهذا الموضوع ولاسيما عندما نتحدث عن النشاط الجنسي الذي هو الأكثر عمقاً والأشد قوة وقسوة بين جميع أنواع العلاقات التي تربط بها الأنا بالجسد مع الآخرين .(٦٦)

ولكن السؤال الهام هنا ما هو دور الجسد في هذه العلاقات ، ولاسيما عندما نتكلم عن ظاهرة النزوع الجنسي . والواقع أنَّ " سارتر " – عملياً – يوافق على ضرورة الالتزام والاهتمام بصالح الآخر وسعادته .(٦٧)

يتناول سارتر قضية جسد الآخر لإثبات نقص الحرية ، فحريتي تخضع للآخر بسبب حاجة علاقتي به ، ولاسيما النشاط العاطفيّ والنزوع الجنسيّ – ومن ثم لابُدَّ أن ارتبط بالآخرين عن طريق الجسد ، وهذا موقف سلبي اتجاه الحرية .

" إنَّ جسدي ، كشيء في العالم ، وجسد الآخر هما الوسيطان الضروريان للتواصل بين الوعي لدى الآخر ووعيي أنا . وإنَّ المسافة التي تفصل النفس لدى الآخر عن نفسي ، هي المسافة ذاتها التي تفصل أولاً نفسي عن جسدي ، ثم جسدي عن جسد الآخر ، وأخيراً جسد الآخر عن نفسه " .(٦٨)

يتناول سارتر فكرة الحرية اتجاه الآخر من جانب سلبي من ناحية ، وإيجابي من ناحية أخرى . فالأول يراه ضروريا وأساسيا لدور الجسم (جسم الآخر) بوصف وجوداً لخصوصية الجنسية أو النشاط الجنسي – وهي رابط أساس بين الأنا والآخر . أما الجانب السلبيّ الذي ذكرناه ؛ فهو المتعلق بفكرة الخجل أو الحد من حريتي ، بسبب وجود الآخر ونظرته لي .

الخاتمة :

يقول " سارتر " إنَّ الإنسان حرٌّ حرية مطلقة على الرغم من الظروف الاجتماعية والأسباب التي يعيش الإنسان في ظلها . وحجة " سارتر " هو أن الحرية لها طابع فردي ، وأن أي قرار يصدر إذن من حرية فردية .. وفي رأيه يظل الإنسان حر حرية مطلقة وإن كان في أصعب الظروف .

إنَّ هذا التصور عن الحرية المطلقة ، قد يكون شيء مفرح وإيجابي وما يتمناه الإنسان ، ولكن في مجال الواقع الحي يصبح الأمر غير ذلك .. إن حرية الإنسان الفرد مرتبطة بقيود اجتماعية وأسباب أخرى .

ويربط " سارتر " الحرية بالاختيار ، اختيار الإنسان بين عدة مسالك ، فالسجين هو حر في أن يختار البقاء في السجن أو محاولة الهروب . ولتأكيد الحرية المطلقة أنه يأتي بتصور فكري قائم على أساس : أنَّ الإنسان متورط في الحرية ، أي إنه لا يختار أن يكون حراً أو لا يكون ، إنما قد ألقي به فيها ولا مجال للإفلات .

وفي حرية الاختيار ، فإنّض الإنسان لا يختار الطبقة الاجتماعية المنتمي إليها ، ولا يختار جسمه وغير ذلك ، ولكنه يستطيع أن يختار " الموقف " اتجاه الطبقة الاجتماعية أو الجسم الذي يملكه . وبهذا أصبحت الحرية مرادفة للاختيار عند " سارتر "..

والوجود البشري باعتباره حرية – مرتبط بالقلق – بل الحرية تظهر من خلال القلق ، ويستحيل على الإنسان الهروب من القلق ، فالقلق هو وعي الإنسان لوجوده .

والعلاقة بين الحرية والعدم تتصف بأن الإنسان ناقص دائماً ؛ لأنه لا يستطيع أن يكمل ذاته ، فهناك فجوة دائمة بين الإنسان وذاته ، ولا يستطيع إتمامها أبداً ، لذلك فهو قلق ، والقلق من طبيعة الإنسان ووجوده .

أما الحرية وعلاقة الإنسان بالآخر ، فقد جاءت عبارة " سارتر " المعروفة : " الجحيم هم الآخرون " ، فالآخر ويقصد به الناس الآخرين الذين يعدهم عقبة تمنعني من تحقيق وجودي . والمشكلة أنَّ حرية الآخر تحد من حريتي ، والعكس أيضاً صحيح .

إنَّ مفاهيم القلق والحرية والاختيار المطلق هي مفاهيم تستوعب بسهولة في المجتمع الغربي ؛ لأنَّ الأسرة الصغيرة عندما يكبر أبناؤها يستقلون ويتحملون كل المسؤولية في وقت مبكر ، فالفرد يتولى المسؤولية الكاملة عن حياته وعمله وتعليمه ومرضه في ظل نظام اقتصادي حر ، وحين يقترن هذا النظام بالأزمات الاجتماعية والاقتصادية والحروب العبثية على الفناء ، يكون للمفاهيم الوجودية معنى لا يدركه العقل وحده ، بل يجربه الإنسان ويعايشه . فضلاً عن ذلك ما وصلت إليه البشرية من اختراعات للأسلحة المدمرة جعلها تفكر في الموت ، وجعل القلق يستبد بها . وبما أنَّ القلق والمسؤولية والحرية ومواقف الإنسان كلها هي المفاهيم الأساسية التي تقوم عليها الوجودية ، والتي ظهرت نتيجة التقدم في المخترعات المدمرة الفتاكة من أسلحة وقنابل أثرت بطبيعتها على ظهور الوجودية في أوروبا.

ولا بُدَّ من القول عن الحرية عند " سارتر " ، إنّ وجوديته عموماً والحرية لاسيما وجدت ترحيباً كبيراً من جانب المجتمعات المختلفة لاسيما بعد الحرب العالمية الثانية لتعطش الناس للحرية . والحرية

هي في صميم وجود الإنسان – وان ماهية الإنسان معلقة بحريته ، فالحرية هي، إذن ، في صميم الوجود وتسبق الماهية .

الهوامش والمصادر :

1. Joseph C.mihalich: Existentialism and Tomism , philosophical library , New York , 1960 , p.17 .

2. F. H . Heinemann : Existentialism and the modern predicament , Charles Black ,London ,1958,p.167.

٣. محمد مهران رشوان : مدخل إلى دراسة الفلسفة المعاصرة ، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، الفجالة ، مصر ، ١٩٩٢، ص ١٠٧.

٤. سارتر : الكينونة والعدم ، ترجمة نقولا متيني ،ط١، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، لبنان ،٢٠٠٩، ص ٥٦٤.

٥. جان فال : من ديكارت إلى سارتر ، ترجمة فؤاد كامل ، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، القاهرة ، مصر ، دون تاريخ ، ص١٦٤–١٦٥.

٦. محمد مهران رشوان : مدخل إلى دراسة الفلسفة المعاصرة ، ص١١٣.

7. Joseph C .mihalich: Existentialism and Tomism ,p.16.

٨. حبيب الشاروني : فلسفة جان بول سارتر ، منشأة المعارف ، الإسكندرية ، مصر ، دون تاريخ، ص٢٠٨ .

٩. المرجع نفسه : ص٢٢١.

١٠. محمود رجب : الميتافيزيقا عند الفلاسفة المعاصرين ، منشأة المعارف ، الإسكندرية ، مصر ،١٩٧٠، ص١٢٧.

11. **F. H . Heinemann : Existentialism and the modern predicament , Charles Black ,London ,1958,p.167.**

١٢. محمد مهران رشوان : مدخل إلى دراسة الفلسفة المعاصرة ، ص١١٥.

١٣. محمود رجب : الميتافيزيقا عند الفلاسفة المعاصرين ، ص١٣٠.

١٤. المرجع نفسه : ص١٢٨.

١٥. سعد عبد العزيز حباتر : مشكلة الحرية في الفلسفة الوجودية ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، مصر ، ١٩٧٠ ، ص٤٨.

١٦. المرجع نفسه : والصفحة .

١٧. فؤاد كامل عبد العزيز : فلاسفة وجوديون ، الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة ، مصر ، دون تاريخ ، ص٤٩.

١٨. مصطفى غالب : سارتر والوجودية ، ط٢ ، مكتبة الهلال ، بيروت ، لبنان ، ١٩٨٢ ، ص٣١.

١٩. سارتر : الوجودية مذهب إنساني ، ترجمة كمال الحاج ، بيروت ، لبنان ، دون تاريخ النشر ، ص٤٦.

٢٠. محمد مهران رشوان : مدخل إلى دراسة الفلسفة المعاصرة ، ص١١٢.

٢١. عبد الحميد فرحات :سارتر وتفسير اللامعقول ، مجلة الفكر المعاصر ، عدد ٢٦، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر ، القاهرة ، مصر ، ١٩٦٧،ص٣٥.

٢٢. موريس كرانتسون : سارتر بين الفلسفة والأدب ، ترجمة مجاهد عبد المنعم مجاهد ، مكتبة الحياة ، بيروت ، لبنان ، ١٩٧٥ ، ص١١٤–١١٥ .
٢٣. مصطفى غالب : سارتر والوجودية ، ص٩٠–٩١.
٢٤. هنتر ميد : الفلسفة أنواعها ومشكلاتها ، ترجمة فؤاد زكريا ، ط٧ ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، مصر ، ١٩٨٦ ، ص٤٠٨ .
٢٥. حبيب الشاروني : فلسفة جان بول سارتر ، منشأة المعارف ، الإسكندرية ، مصر ، دون تاريخ ، ص٢٠٨.
٢٦. المرجع نفسه : ص٢٢٣.
٢٧. سارتر : الكينونة والعدم ، ص ٦١٤.
٢٨. مصطفى غالب : سارتر والوجودية ، ص ٥٨.
٢٩. سعد عبد العزيز حباتر : مشكلة الحرية في الفلسفة الوجودية ،ص١٥٧.
٣٠. مصطفى غالب : سارتر والوجودية ،ص٣٠.
٣١. سارتر : الكينونة والعدم ، ص ٦١٨.
٣٢. سعد عبد العزيز حباتر : مشكلة الحرية في الفلسفة الوجودية ،ص ٤٦.
٣٣. مصطفى غالب : سارتر والوجودية ،ص٧١.
٣٤. محمد مهران رشوان : مدخل إلى دراسة الفلسفة المعاصرة ، ص١١٠.
٣٥. سارتر : الكينونة والعدم ، ص ٦١٤.
٣٦. المصدر نفسه : ص٦١٣.
٣٧. علي حنفي محمود : قراءة نقدية في وجودية سارتر ، ص٣٥.
٣٨. زكريا إبراهيم : وجودية سارتر ، مجلة الفكر المعاصر ،ص٢٢.
٣٩. أ.م . بوخنسكي : تاريخ الفلسفة المعاصرة في أوروبا ، ترجمة عبد الكريم الوافي ، مؤسسة الفرجاني ، طرابلس ، ليبيا ، ص ٢٦٩–٢٧٠.
٤٠. حبيب الشاروني : فلسفة جان بول سارتر ، ص١٤٠.
٤١. المرجع نفسه : والصفحة .
٤٢. حبيب الشاروني : فلسفة جان بول سارتر ، ص١٤١.
٤٣. مصطفى غالب : سارتر والوجودية ، ص٢٦.
٤٤. زكريا ابراهيم : وجودية سارتر ، مجلة الفكر المعاصر، عدد ٢٦، ص١٦–١٧.
٤٥. زكريا ابراهيم : دراسات في الفلسفة المعاصرة ، ج١، دار مصر للطباعة ،١٩٦٨ ، ص٤٩٩.
٤٦. سارتر : الكينونة والعدم ، ص ٧٨.
٤٧. حبيب الشاروني : فلسفة جان بول سارتر ، ص١٤٠.
٤٨. سارتر : الكينونة والعدم ، ص ٥٨.
٤٩. محمد مهران رشوان : مدخل إلى دراسة الفلسفة المعاصرة ، ص١١٥.
٥٠. موريس كرانتسون : سارتر بين الفلسفة والأدب ،ص٧٠.
٥١. فؤاد كامل عبد العزيز : أعلام الفكر الفلسفي المعاصر ، دار الجيل ،ط١،بيروت ، لبنان ، ١٩٩٣، ص٢١٧.

٥٢. المرجع نفسه : ص٢١٨.
٥٣. موريس كرانتسون : سارتر بين الفلسفة والأدب ، ص ٧٠-٧١.
٥٤. المرجع نفسه : ص٧١.
٥٥. جون ماكوري : الوجودية ، ترجمة إمام عبد الفتاح إمام ، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، القاهرة ، مصر ، ١٩٨٦ ص١٦٤.
٥٦. سارتر : الكينونة والعدم ، ص ٣٨٧.
٥٧. زكريا ابراهيم : وجودية سارتر ، مجلة الفكر المعاصر ، ص٢٤.
٥٨. سارتر : الكينونة والعدم ، ص ٤٧٩.
٥٩. عبد الحميد فرحات :سارتر وتفسير اللامعقول ، مجلة الفكر المعاصر ، عدد ٢٦، ص٣٥.
٦٠. المرجع نفسه : والصفحة .
٦١. سارتر : الكينونة والعدم ، ص ٣٢٩.
٦٢. المصدر نفسه :ص٣١٣.
٦٣. محمود رجب : الميتافيزيقا عند الفلاسفة المعاصرين ، ص١٢٣.
٦٤. مصطفى غالب : سارتر والوجودية ، ص٣٢.
٦٥. سارتر : الكينونة والعدم ، ص ٥٣٨.
٦٦. جون ماكوري : الوجودية ، ص١٦٧.
٦٧. المرجع نفسه : ص١٦٥.
٦٨. جون ماكوري : الوجودية ،ص٣١٣.

The nature of freedom to Sartre

Instructor. Dr . Hanan Ali Awada
University of Baghdad / College of art
Department of philosophy

Abstract:
The philosophy of Sartre is all revolves "freedom", so he said that man is free and is doomed to freedom. In this regard he introduced the idea of force and oppression and its relationship to human freedom. The responsibility and the choice, by the responsibility. The man bears the responsibility is everyone and the freedom reveals itself through the anxiety and its correlation with awareness .